الأردن: عين على الداخل ومئة على الخارج



أ.د. عدنان هياجنة*

لا أنكر فرحتي وسعادتي الغامرة كما كل الأردنيين الشرفاء بمناسبة بدء الحرب على الفساد والمفسدين في الأردن، ولا أنكر ترحيبي وغبطتي بتوافق كل الجهات والقوى الحزبية والسياسية الأردنية على أمن واستقرار الأردن في هذه المرحلة الحساسة التي سنتخطاها بثبات وعزيمة إن شاء الله ، ولا أنكر أيضا التحديات التي تمر بها الموازنة والمتطلبات التي يريدها الشعب، لكن لا أستطيع التركيز الكلي على الشأن الداخلي الذي يجب أن يتغير فيه المنهج وإهمال ما يحدث في الإقليم وفي العالم من تطورات تؤثر علينا.

الاستقرار الداخلي وتحصين الجبهة الداخلية والوحدة الوطنية شرط أساسي لسياسة خارجية ناجحة كما هو لسياسة جلب الاستثمارات وتشجيع السياحة وتشغيل الأيدي العاملة بالطبع بعيدا عن نظريات الليبراليين الجدد الذين يتحملون مسؤولية ما وصلنا إليه الآن كما أنه ضروري جدا للمحافظة على تدفق المساعدات الخارجية التي تعتبر ضرورية في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة.

إن الإرباك الداخلي سيؤدي إلى إرباك في السياسة الخارجية الأردنية خاصة ونحن كما ذكرت في أكثر من مقالة في مرحلة غياب الدور العربي الفاعل في الإقليم وفي العالم وما ذكرت عن أهمية إصلاح السياسة الخارجية الأردنية التي كانت ويجب أن تشكل خط الحياة بالنسبة إلى الأردن؛ فالأردن له مزايا متعددة وإضافية في السياسة الخارجية، غير متوفرة لكثير من الدول العربية وحتى بعض الدول التي تحاول أن تقوم بهذا الدور، قزمها البعض عندما قدموا نظريات الإصلاح الاقتصادي التي ركزت على أن "الأردن للبيع" وأهملوا "الكنز الأردني" ولكن لا نريد نبش الماضي فلم يكن أحد يستمع.

وفي هذا المقام لا بد من التذكير بمزايا هذه السياسة المستندة إلى دراسات علمية وليس الى أوهام وطنية كما يتصور البعض منها أن الأمن الأردني والمحافظة عليه هو أهم أهداف السياسة الخارجية ولم تؤثر يوما مسألة المساعدات على قرارات الأردن الاستراتيجية وللتذكير ببعض هذه القرارات انظروا إلى قرار الأردن بعدم المشاركة في عملية السلام في كامب ديفيد وفي قرار الأردن في رفض الحرب الأمريكية على العراق بعد غزو الأخير للكويت وتوقيع الأردن لعملية السلام بعد توقيع كل الأطراف وما نتج عن هذه المواقف من محاولة عزل الأردن وحصاره اقتصاديا بعد أن قطعت عنه المساعدات وأغلقت في وجه أبنائه الأسواق وفرص العمل.

إن ادراكات الخارج عما يحصل في الأردن قد تؤثر على سياسات الدول تجاهه ونحن نريد أن نحافظ على الصورة الايجابية له؛ لذا يجب أن تدرك القوى الفاعلة على الساحة الأردنية هذا القانون الأساسي في لعبة العلاقات الدولية وأننا لا نعيش بمعزل عن العالم؛ فالتطورات الدولية يجب أن لا تؤدي إلى غرور البعض بما يمكن أن يقوم به في الداخل لأن السلوكيات ليس مهمة فقط في ذاتها إنما في الانطباعات التي تولدها!

ويبدو أن معظم التحليلات السياسية الخارجية عن ما يحدث في الأردن في المنابر المؤثرة على مراكز صنع القرار تشير إلى أزمة حقيقة يمر بها الأردن مما سيؤثر على نظرة صناع القرار خارجيا، وهذا يفرض الحرص والإسراع في ما قد يسبب باستمرار الحالة الحالية التي ولدت هذه التقييمات.

إن تطورات الإقليم خاصة الدعم غير المحدود للمواقف الإسرائيلية والذي جاء على لسان كثير من مرشحي الانتخابات الأمريكية يهدد المصالح الأردنية ولا بد من التنبة لذلك في هذه المرحلة الحرجة خاصة ما يتعلق بنظرية الوطن البديل.

كما إن التطورات المتسارعة في الإقليم الخاصة بالوضع السوري وتدويل قضيته وانسحاب القوات الأمريكية من العراق وتزايد التهديدات الأمريكية الإسرائيلية لإيران وسيطرة المعضلة الإيرانية على الفكر الاستراتيجي العربي الخليجي سيؤدي إلى مرحلة من التخبط وعدم الوضوح في الرؤية مما قد يشكل تحديات إضافية للوضع الإقليمي مما قد ينعكس على الوضع الداخلي في الأردن خاصة في ظل إهمال القضية الفلسطينية.

يحاول الأردن تغيير كثير من سياساته الداخلية التي أثبتت عدم جدواها وأدت إلى ادراكات أدت إلى تصورات مرعبة لدى البعض مما سيؤدي إلى حالة استقطاب داخلية واحتقان مجتمعي في غاية الخطورة، كما أن الأردن لا يستطيع أن يتصرف بحرية كبيرة في الإقليم وهذا ما يجب أن تدركه كل القوى التي يجب أن تراقب الخارج بألف عين.

لا نتوقع ويجب أن لا تتوقع القوى السياسية بأن الأردن سيغلق الباب على نفسه لإصلاح الداخل وينسى ما يحدث من حوله فهذا مستحيل في العلاقات الدولية، لذا أعطوا المجال لصناع القرار لعدم الإهمال بسبب الانشغال، فالعمل مطلوب على كل الجبهات خاصة الجبهة الداخلية التي يجب أن تمنع أي تدخل مباشر أو غير مباشر في الشأن الأردني.٥

أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الهاشمية
HAYAJNEH1@YAHOO.COM

كاريكاتير الاربعاء



خاص – بـ العرب اليوم

العرب اليوم
الاربعاء
2011/12/21

خيارات العرب بعد سقوط أمريكا!

د. آية عبدالله الاسمر

يشهد العالم اليوم الضعف والوهن الذي بدأ يدب في أوصال قوة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية، بعد أن تخلخل تماسكها الداخلي بسبب الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها، جراء حروبها الصليبية الاستعمارية في أكثر من مكان في أنحاء العالم، وقد بدأت ملامح هذا الهزال تتشكل وتلوّن وجهها السياسي الشاحب في تصريحاتها المتخبطة إزاء الأحداث العربية الأخيرة، ولم تعد مواقفها الرسمية في هيئة الأمم المتحدة حاسمة وصلبة بما فيه الكفاية لتحقيق غاياتها، بالرغم من استمرار حصولها على الدعم والتأييد اللامتناهيين من قبل حلفائها الإستراتيجيين وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

نحن كدول عربية وكأنظمة عربية حاكمة بعيدون كل البعد عن فهم أبعاد وقواعد وكواليس الأحداث السياسية الجارية، والتي تشير بقوة وبجرأة وبوضوح إلى وشوك انتهاء عصر قوة القطب الواحد المتمثل في أمريكا، وهذا ما يدفعنا إلى الاستمرار في سياسة الانبطاح لهيمنة السي آي إيه والموساد على الشؤون الداخلية والقضايا المصيرية في منطقة الشرق الأوسط، بالرغم من أننا نتابع تفاصيل العهد الذهبي الذي يوشك على الانبلاج في فضاء العالم، إلا أننا كأنظمة حاكمة بلغ بنا الضعف والخوف والجبن والخنوع بحيث لا نريد أن نرى الفرص المتاحة لنا اليوم، والخيارات المتعددة والبدائل المكوّمة على رفوف الحاضر، حتى نتأهب لولوج عصر جديد وعالم اختلفت معطياته وتغيرت موازين القوى فيه، بشكل يمكّننا من تمزيق شرنقة الخنوع والضياع والانحطاط الذي عانت منه المنطقة العربية عقودا طويلة.

منيت اليابان بهزيمة نكراء في الحرب العالمية الثانية، وبالرغم من عدم وفرة الموارد الطبيعية في اليابان، إلا أنها اليوم ثالث قوة تجارية في العالم وثاني قوة صناعية دوليا، اعتمادا على الصناعات الثقيلة التي تنتجها من المواد الأولية التي تقوم باستيرادها، كذلك هزمت ألمانيا هزيمة ماحقة في الحرب المذكورة ذاتها، وهي اليوم تمتلك قوة اقتصادية تحتل المرتبة الأولى على مستوى أوروبا وتأتي في المرتبة الثالثة عالميا، بفضل قوة وجودة وتنوع صناعاتها وبنيتها التحتية، بالإضافة إلى التنظيم الرأسمالي الاجتماعي المتميز المتبع في الدولة الألمانية، تتميز كل من هاتين الدولتين بوجود إرادة حاكمة وإدارة حازمة وعزيمة شعبية وانتماء وطني، وخصوصية ثقافية وحضارية ما زال الشعبان متمسكين بها.

روسيا وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي استطاعت خلال العشرين سنة الماضية، أن تنهض بقوة وجرأة من جديد، وأن تحقق تقدما كبيرا وتخطو خطوات واسعة وحثيثة على طريق الإصلاح بالرغم من الإرث المثقل بالتحديات، لتعود روسيا كقوة سياسية ونفطية عظمى، وتحتل المركز الأول في صادرات السلاح العالمية، وتمكن بوتين ومستشاروه من إنعاش المؤسسة العسكرية الروسية وتحقيق الانتعاش للاقتصاد الروسي، لتحتل موسكو موقعا مركزيا ومحوريا في الحلبة الدولية الجديدة.

من ناحية أخرى خرجت إيران من حربها مع العراق منهكة ومنبوذة إقليميا ودوليا، إلا أنها استطاعت وبفضل الاعتماد على طاقاتها الوطنية الذاتية أن ترسم لنفسها سياسة داخلية وخارجية مستقلة عن القوى الأخرى، مما جعلها تواصل مسيرتها قدما دون الحاجة إلى مباركة واشنطن أو التطبيع مع تل أبيب، لتصبح اليوم ثالث قوة اقتصادية في منطقة الشرق الأوسط، بل لقد قامت شأنها شأن القوى العملاقة بتكوين تحالفات وأحلاف مختلفة أينما تقاطعت مصالحها وحيثما تشابكت أهدافها مع الآخرين.

الصين ووفق قواعد لعبة القوى الاقتصادية والعسكرية، ونظرا للنمو الاقتصادي والعسكري المتسارع فيها، تعد مرشحا قويا للعودة كقوة عظمى عالميا ومنافسا قويا لأمريكا، فهي اليوم أكبر قوة اقتصادية في شرق وجنوب شرق آسيا، ومن المتوقع أن تتفوق اقتصاديا على الولايات المتحدة الأمريكية في غضون الأعوام القليلة القادمة، حيث سيصل الناتج المحلي الصيني في عام 2015 إلى 12 تريليون دولار، وقد استطاعت نظرا لاستيعابها المخاطر المحدقة بها من كل من أمريكا واليابان والهند، بناء علاقات دبلوماسية متبادلة وحذرة مع تلك الأطراف بشكل يحقق لها أهدافها ويساعدها على التطوير والاستمرار والمنافسة.

في تركيا استطاع حزب العدالة والتنمية الذي يقوده أردوغان أن يغيّر وجه تركيا، لينهض بالاقتصاد التركي ليصل إلى المرتبة السابعة عشرة عالميا، ويقود دفة النمو في البلاد لتصل نسبته إلى 9،8% عام 2010، بالإضافة إلى العديد من التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، التي جعلت من تركيا طرفا مؤثرا وقوة دبلوماسية واقتصادية فاعلة على الصعيد الدولي.

في عالم السياسة أنا غير معنية بحب إيران أو صداقة تركيا أو تعاطف روسيا؛ لأن علاقات الدول السياسية قائمة على مصالح اقتصادية وروابط أمنية وتكتلات إستراتيجية إمبريالية، لا تمت بصلة إلى مشاعر الحب وأحاسيس الود والتعاطف، يكفيني وبناء على أحداث التاريخ أن أعلم أن المنطقة العربية بثرواتها النفطية وموقعها الاستراتيجي على الحدود مع إسرائيل، وما تشكله المنطقة بأسرها من سوق اقتصادية بل استهلاكية في الدرجة الأولى للمنتجات الأمريكية والأوروبية والصينية واليابانية والعالمية، تعد المنطقة محط أنظار دول العالم وبؤرة أطماعه، خاصة لكون هذه المنطقة بأنظمتها الحاكمة الحالية مشتتة ومشوّهة وضعيفة وخائرة القوى ومشلولة عسكريا واقتصاديا وسياسيا.

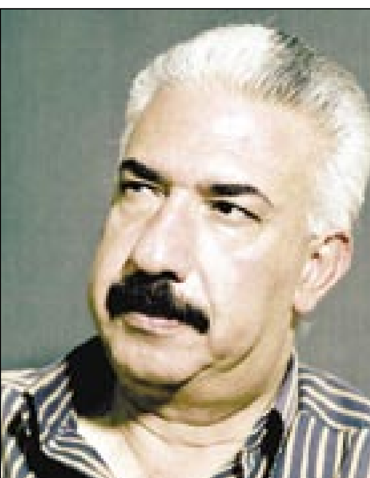
ما يدهشني حقا هو تشبث الأنظمة العربية بتلابيب أمريكا حتى وهي تحتضر، الأصوات المعارضة التي خرجت من حنجرتي موسكو وبكين إزاء الأزمة في سورية، وبشأن فرض مزيد من العقوبات على إيران بسبب برنامجها النووي، كذلك الموقف المتذبذب والمتناقض لإسطنبول حيال كل من إسرائيل وليبيا وسورية، لا بد من أن تثير هذه المواقف المختلفة والمدروسة والمرتكزة على قوة المصالح المتقاطعة بين التحالفات المختلفة، فضول المواطن والمسؤول والحاكم العربي تجاه الأبواب الجديدة التي من الممكن أن يتم طرقها، خاصة بعدما تجرعنا المرارة والذل وويلات الحروب والمهانة نتيجة الأبواب المشرعة على مصراعيها أمام المشروع الأمريكي الصهيوني في المنطقة، المشروع الذي استنزفنا سياسيا واقتصاديا وثقافيا واخترقنا أمنيا وأخلاقيا.

لقد ذبحت الأنظمة العربية شعوبها وقضاياها المصيرية الكبرى قربانا للمشروع الإمبريالي الأمريكي الصهيوني، في سبيل الحفاظ على كراسي حكمها غير الشرعية، إلا أن أمريكا تخلت عن أتباعها عندما اقتضت مصالحها الاقتصادية والسياسية التضحية بعملائها، ومع ذلك نجد أن الأنظمة العربية الحاكمة الباقية وقوى المعارضة التي استلقت على الساحة العربية في أكثر من دولة باسم الثورة، ما زالت تراهن على أمريكا وتتمسح بأبواب البيت الأبيض.

ما نحتاج إليه وبشدة اليوم هو فكر سياسي ثوري وطني حقيقي وأصيل، فكر مناهض لأمريكا وللاستعمار الأوروبي، فكر يناضل من أجل مبادئه للانتصار للظلم والمظلومين على غرار نضال تشي غيفارا، لا فكرا يناضل من أجل سدة الحكم ومنصب وكرسي وحفنة من الدولارات، نحتاج إلى فكر واع يبحث في البدائل التي تحقق مصالحنا الوطنية والقومية لا مطامعنا الشخصية ومصالح القوى الكبرى، نحتاج إلى النظر حولنا بروح منفتحة وحذرة وفكر ثاقب وناقد وعقل يدبر ويخطط، لنطوي صفحات ملوثة وموصومة ومخزية، ونفتح صفحات تتطلع إلى بناء أحلاف جديدة وعلاقات مغايرة وقوى مهيمنة، نكون نحن فيها السادة والشركاء والقادة لا عبيدا وإماء وأتباعا.

نحن اليوم أمام خيارات متعددة ومتباينة، فإما الاستمرار في سياسة الانبطاح والاستسلام للقوى الإمبريالية العالمية بقيادة أمريكا المتهالكة، وإما أن تقودنا الأحداث الدولية وألعاب القوى السياسية إلى أن يبيعنا السيد الأمريكي إلى سيد إمبريالي آخر قد يكون صينيا أو إيرانيا أو روسيا أو تركيا، في سوق النخاسة الذي ارتضيناه وطنا وموطنا لنا في حياة الذل والتبعية، وإما أن ننهض ونخوض غمار الحياة بشرف وكرامة ونبدأ باستيعاب وبحث أوضاعنا السياسية والاقتصادية والأمنية الداخلية والخارجية، لنشكل أحلافا وتحالفات دولية وعالمية قائمة على شراكة حقيقية، وواعية لقواعد السياسة مع الأعداء، في عالم سياسي لا يعترف بالأصدقاء ولا يرحم الضعفاء ولا يحمي المغفلين.٥

فتى دير الغصون



يوسف عبد العزيز

أخيراً
ها تركت البحر في قفصٍ
وجئتَ
تراكَ تهجسُ بالنهارِ الأزرقِ الفتانِ؟
مثلكَ ما اكتوى بدموعِ نرجسةٍ
ومثلك ما رأى شَجَراً
يُصفقُّ للطيور
مشققَ الكفينِ
يا ابنَ الماءِ
والقمرِ الذي يحبو على الحيطانِ
أين أضعتَ قلبكَ
واقترفتَ الشِّعرَ
حتى جمَّعَتْ أمواجَها بنتُ النشيدِ
وفضتَ بالنيرانِ؟؟
أينَ أضعت قلبكِ؟
أيَّ وردٍ خاسرٍ يبكي على الشرفاتِ
أنت
وأيُّ طيرٌ
ينقرُ
الصوَّانَ؟
في هذا المدى الناريِّ
ليسَ لقبرات الحقلِ أفقٌ
حيث تنتشرُ الطواويس الكثيرةُ
والجرادُ يَهبُ من جبلٍ بعيدٍ نابحاً
ويُمزّقُ الرمَّانَ.
ما أبهى غبارَكَ أيُّها القرويُّ مثلي
أيها الضلع المطاردُ في زوايا الصدّرِ
يا زيتونةً
مقصوفةً
ترثُ السدُّى
حدَّثتَني عن (دير الغصون)
المقيمةَ عندَ
باب البَحرِ،
وهي تضيء بالزيتِ المقدسِ في المساء
سراجَها
وتنام عابقةً بطعم اللوز تاركةً وعول
الأرضِ
تهذي في البراري، والنسور تصيح
في أبراجها
حدثتني عن رجفةِ النعناع في منديلها
البريِّ
حين تمسهُ النسماتُ، عن حجلٍ
يُبرجم في
سهوب الغيم محتشداً على أكمامها
وحجارَة مكَسوَّة زغباً
يفيضُ حليبها في الصبحِ
حين يُشببُّ الرعيانُ؟
أينِ أضعتَ قلبكَ؟
أيُّ شيطانٍ يقودُ خطاكَ
نحو ضلالك الآتي؟
فتتركُ(دير الغصونِ) المقيمةَ عند
باب البحرِ
تسأل حارةَ الزيتونِ
عن ظبيٍ تسيلُ يداه ورداً
عن شقيٍّ
راحَ يطلبُ
مَهْلكا
مهلاً ستخدعكَ القصيدةُ
والسماءُ الناعمة
وتشيبُ روحُكَ في ضباب الحبِّ
يا غصناً من الليمونِ أخضرَ
يا شريكاً في القصيدةِ
مشركا.٥

«عَـدُوُّ الشَّـمْـسِ»



الرباط – محمد سعيد الريحاني

في كبرى ميادين العاصمة، نصب الثوار شاشة عملاقة لمتابعة خطاب ابن الزعيم مستبشرين بأنه خطاب الوداع والتنحي وبأن الأبن سيعلن تنحي الأب عن كرسي الحكم حقنا للدماء. لذلك، هتفوا منتشين:

– "تونس أسقطت نظامها في ثمانية وعشرين يوما ومصر في ثمانية عشر يوما. أما نحن، فقد أسقطنا الطاغية في أربعة أيام! تحيا الثورة الليبية! الطاغية هرب وابنه المعارض لنظامه سيلقي خطابا يعلن فيه تنحّي والده عن الحكم!"...

عم الصمت ساحات البلاد وبدأ ابن أبيه يدور في كرسيه الدوار أمام الكاميرا ينتظر أول فكرة يفتتح بها الخطاب. وحين تأخرت الفكرة وطال دورانه في كرسيه، جرب أن يطيل سبابته في اتجاه الجماهير خلف الشاشة عسى الإيماءة تعجل بكسر الجمود الذي تملكه فجأة لحظة اشتغال الكاميرا فكان:

"لن نترك السلطة لهذه الأسباب": خلايا مسلحة دخيلة عبرت الحدود لإشاعة الفتن، والفوضى تعم البلد أبطالها مدمنو أقراص الهلوسة، ومنحرفون سيرغمون البلد على خسارة الشركات التي عقدت معنا صفقات تاريخية لاستيراد النفط. ليس هذا فحسب بل إن المخربين ينوون تفكيك ليبيا إلى دويلات من خلال حرب أهلية قادمة. ولذلك، فنحن سنستعمل القوة الرادعة لأننا لا زلنا أقوياء ولن نرحم في ذلك أحدا. ستسير أنهر من الدماء. فإما نحن وإما المحرقة! والدي لا زال هنا ينتظر جوابكم وانضباطكم وهو لن يهرب ولن يتخلى عن مسؤولياته التاريخية. فالزعيم القائد الخالد هنا عاش وهنا سيبقى وهنا سيموت وهنا سيدفن وهنا سيعظم إلى أبد الآبدين"...

ما أن سمعت الجماهير الوعد والوعيد حتى أغمي على الكثير منهم. أما من حافظوا على وعيهم، فقد بدؤوا برشق صورة ابن أبيه على الشاشة العملاقة بالنعال والأحذية، متسائلين:

– بأي صفة يتكلم ابن أبيه؟
– هو كان يقود معارضة ضد أبيه؟
– لماذا هو الآن يلقي خطابا نيابة عنه؟!
– هل سقط القناع أم سقط النظام؟...

على شاشة التلفاز، شاهد ابن أبيه ، لأول مرة في حياته، الشعب يقذفه بالأحذية وهو يلقي خطابه على الشاشات العملاقة في ساحات البلاد العمومية، فقال الابن للأب:

– لقد قتلتني، يا أبي !

– اعتقدت بأنك ستكون صبورا صبر إسماعيل الذبيح على سكين أبيه إبراهيم الخليل!

– إبراهيم الخليل لم يقتل أبنه وإنما اختبره. أما أنت، فقد اختبرتني وقتلتني!...

– إنه ليس قتلا، بل هو تضحية، شهادة، عمل فدائي... كن إيجابيا، يا ولدي!

– كان من الأجدى، يا أبي، أن تخطب في الناس أنت وتعدهم بنفسك وتتوعدهم بما تراه يليق بك وبهم حتى إذا ما ساءت الأمور، تدخلت أنا بالصلح مستثمرا الصورة الإيجابية التي رَسَمْتَهَا لي طيلة السنين الماضية حتى ترسخت في وجدان الجماهير. وبذلك، لن ندع للأجانب مجالا للتدخل أو اللعب!

– يكفي، يا ولدي. لقد عشنا ما يحلم به الناس. أما الآن، فقد دقت ساعة الرحيل. لكن هل تعتقد بأنني سأرحل وحدي. إننا أسرة حاكمة. فإذا بقيت، سيبقى معي جميع أفراد أسرتي؛ وإذا رحلت، سيرحل معي الجميع؛ وإذا مت، سيموت معي الجميع؛ وإذا انتحرت، سينتحر معي الجميع: زوجة وخليلات وأبناء شرعيين وغير شرعيين وأقارب وأتباع ومرتزقة!...

ولما رأى القائد ابنه قد انزوى على الأرضية في الزاوية البعيدة من الغرفة معانقا بكلتا يديه ركبتيه وهو يبكي، طمأنه:

– حسنا، يا صغيري. لن تلقي خطابا بعد اليوم. وأعدك بأن أبدأ سلسلة الخطب ابتداء من نهاية هذا الأسبوع. هل هذا يعيد البسمة لمحياك؟ تابعني، إذن، على شاشة التلفاز...

الفصل الخامس من رواية "عدو الشمس" قبل نشرها اهداء من المؤلف للعرب اليوم.٥